احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

يقول الامام حجة الاسلام (محمد رشيد رضا) في إحدى رسائله الى أمير البيان :

« ... ثم تخاطبني أنا في مسألة استعمال (احترم) بمعنى وقر ، وقلت : انك لم تجدها الا في (أساس البلاغة) وقلت لي بعده : (أفترى استعمالها خطأ الخ) سبحان الله! أأنا لا احتج بأساس البلاغة ؟ الا انني اخبرك بأن الاحتجاج به عندي هو فوق الاحتجاج بالقاموس ولسان العرب ، وهو ادق منهما ، وأصح نقلاً . ولا اعرف احداً ممن تسميهم المتنطعين لا يحتج به ، على انني لم أجد الكلمة فيه . واما استعمال البوصيري لها في البردة او غير البردة فلا قيمة له البتة ، واعلم منه الفقهاء وهم يستعملونها[1] »

وفي حاشية الأمير[2] : « لم اجد (احترم) بمعنى وقر وتهيب في كتب اللغة الا قول الفيومي في المصباح المنير : (الحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق) وقد ورد في [اقرب الموارد] للشرتوني هذا الفعل ، ولا أعلم عمن نقل الشرتوني ذلك : غير انني اتذكر انه قال لي في احد مجالسه الكثيرة معي : انه رأى هذه اللفظة في كلام الزمخشري ! ومن هنا جاء في الظن بان يكون الزمخشري اوردها في أساس البلاغة[3] »

[قلت] : انا موقن ان حجة الاسلام قد مرت عليه اللفظة في الاساس ولكن الانسان انسان يذكر وينسى « سميت إنساناً لانك ناس[4] » وكان الامام [رحمه الله ورضي عنه] يجل [اساس البلاغة] وقال لي مرة « هو كتاب مراجعة ومطالعة » فكان

---

(٢) ذكرتني حاشية الامير هذه بكتاب كنت بعثت به اليه أوردت فيه هذين القولين : قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب . وقال الزمخشري : الزيت مخ الزيتون والحواشي مخة المتون . فجاءني من الامير كتاب يقول فيه : « شفيت غليلي بهذين الشاهدين اللذين جئت لي بهما على فائدة الحواشي ، ولعمري لو أنجدتني بحبش مجر ، ومال دثر ما أحسست فضل تلك النجدة كما أحسست بها عندما قرأت ذينك الشاهدين » وفي الكتاب إطراء غريب لأجل روايتي للقولين ... ! (١) و (٣) السيد رشيد رضا أو اخا أربعين سنة تأليف الامير شكيب ارسلان ص ٦٢١

(٤) حبيب . والشاهد في النسيان لا في صحة النسمية والاشتقاق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يرجع اليه متحققاً متثبتاً ويطالعه مستفيداً ، ونشر [مقدّمته(١)] البارعة في [المنار] اعجاباً بفصاحتها وبلاغتها

ان الامام والأمير لصادقان ، فهذه اللفظة ما وردت في الأساس في مادتها ، وجاءت في غير مظنتها ، وردت في (م ل ح) في تفسير قوله : (فلان ملحه على ركبتيه) قال : « قيل : الملح الحرمة : وان معناه انه يحترمك ما دام جالساً معك فاذا قام عنك رفض الحرمة »

ومما ذكرها الامام الزمخشري في كتابه في غير مكانها (المنضدة) لم تظهر في [ن ض د] وظهرت في [ف ج ج] قال : « المنضدة شيء كالسرير له اربع قوائم يضعون عليه نضدهم(٢) » وكانت هذه اللفظة وردت في مؤلف للأديب الكبير الدكتور بشر فارس ، فخطأه عالم مشهور(٣)

ولا يحسبن احد ان جار الله قد تسمح في (الاحترام) اذ رتبه في كتابه في غير مرتبته ، كلا ، ان احترامه اياه لعظيم ، وحسبك انه رقمه في [كشافه] كما قاله في [مقاماته] جاء في الكشاف في سورة قريش : « . . . والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ، ويحترموهم فضل احترام ، حتى ينتظم لهم الأمر في رحلتيهم ، فلا يجترئ احد عليهم »

وقال في مقامة الشكر : « لا يتخطى (يعني الموت) محدثاً ليعرج على معمّر ، ولا يحترم محدّثاً فيحترم دونه المعمّر » والاحترام في كلام اللغويين والأدباء كثير ، قال ابن الحريري في الثامنة والأربعين (الحرامية) : « فأداني الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها الى محلة موسومة بالاحترام ، منسوبة الى بني حرام(٤) »

---

(١) الفائق : المقدمة الجماعة تتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم ، وقد اسميت لأول كل شيء فقيل منه مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام ، وفتح الدال حلب . والبطليوسي يجيز الفتح في الاقتضاب ص ٢٠٨ ، وروى قوله التاج . والكسر خير . (٢) في الجمهرة : النضد متاع البيت ، وما نضد بعضه على بعض فهو نضيد ومنضود ، والجمع أنضاد ، وكثر ذلك في كلامهم حتى سموا السرير الذي ينضد عليه المتاع نضداً . . . »
قلت ليكن بعد اليوم النضد للنضد لا لما يوضع عليه ولتكن المنضدة للمنضدة

(٣) نشرت كلمتين في الرسالة ٣١٧ و ٣٢٨ ص ٧ أعلنت فيها صواب القول ، ورويت في الثانية شعراً لمزرد أخي الشماخ في مفضلية له ورد فيها جمع المنضدة [المفضليات شرح الأنباري ص ١٤٢]

(٤) فسر الاحترام في الشرح المختصر بالتعظيم وهو التفسير المبين ، وفسره الشريشي في شرحه الكبير بالامتناع . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ياقوت في [ارشاد الأريب الى معرفة الأديب] في سيرة الحسن بن احمد العطار الهمذاني :« وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين » وقال في سيرة محمد بن احمد الابيوردي الشاعر المشهور : « وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب الا بمولانا » وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج [المجلد ٤ ص ٤٥٧] : « فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة » والشاهد في هذه الجملة استعمال الفعل : احترم

كنت عثرت على (يحترم) في الأساس وقيدته في احد دفاتري ثم وجدت في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (ج ٢ ص ٢١٠) بحثاً للعلامة الشيخ حسين والي (رحمه الله) في الاحترام ومشتقاته ، ذكر فيه ان ذلك الفعل (يحترم) هو في [م ل ح] فهو السابق ذو الفضل في اظهاره[1] . وأورد (رحمه الله) اقوال أئمة كثيرين ، فيها هذا الفعل ، منهم الزمخشري في سورة ابراهيم قال : « لانه (اي البيت الحرام) محترم عظيم الحرمة [2] » ولم يذكر الشيخ والي قول الحريري الذي أوردته ، ولكنه ذكر تفسير الفنجديهي[3] لقول الحريري في الثامنة والثلاثين [المروية] قال : « ذكر البنجديهي ان الحرم قوم محترمون »

(قلت) وقول الحريري هو « والتزم لأهل الحرم ما يلتزم للأهل والحرم » وقول الفنجديهي الذي رواه الشريشي ونقله الاستاذ والي منه هو « الحرم جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف . الفنجديهي : الحرم اقوام محترمون ... »

وقال الاستاذ والي بعد ان روى أقوال أولئك الأئمة : « الكلام هؤلاء الاعلام اصل في اللغة لم نجده نحن ؟ انه لا يستشهد بكلام امثالهم ، وانما يستشهد بكلام العرب »

(قلت) نعم ، انما يستشهد بكلام العرب حينما يجب الاستشهاد بكلامهم وحينما تقتضي الحال ذلك . والاحترام هذا مولد ، ولم يقل قائل : انه عادي قديم . والكلام العربي جاهلي واسلامي ومولد ، وثلاثة ارباع اللغة العربية بل اكثر من ذلك في

(١) لو اطلعت على [يحترم] في مقالة الاستاذ والي قبل ان اعثر عليها في الاساس لذكرت في هذا المقام ذلك ، فمن خلائقي الصدق في كل شيء وفي كل وقت ، ومن خلائقي الانصاف ونسبة الفضل الى أهله

(٢) لم أكن نبهت لهذا القول فأقيده ، ولم يرو الاستاذ والي ما رويت .

(٣) نسبة الى فنجديه ، ذكرها ياقوت في الفاء والباء . ووردت في الباء [بنج ديه] والمعنى بالفارسية القرى الخمس كما قال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشؤون والعلوم والفنون من المولد . فاذا اجتزأنا بالذي هو أقل من الربع عدنا كما كنا يوم فارقنا [الجزيرة] ...

* * *

الامام الزمخشري يرى العربية — كما ترى هي نفسها — اللغة المتبحبحة في الفاظها والمشتقة والمتصرفة والمتقدمة والسائرة مع الزمان

ولم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخرا[1]

وليس هو ممن يقول : لا أقبلها الا جاهلية أعرابية ، بل يرضاها جيدة مولدة . ولما سعدت بقدومه ارض الحجاز وسمع هناك ما سمع من الألفاظ لم ينكرها واودعها [أساسه] فقال : « اهل الحجاز يسمون الزرع والطعام [عيشا]

سماعي من فتيان مكة الصوفية[2] [اللوفية] لاف الطعام لوفا وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون في كل شيء لا يحسن الانسان عمله قد [محقه]

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السقف — يا سيدي ، هل [أهب عليه التراب] بمعنى هل اجعله عليه ، وهو من الهبة ، لان معنى وهب له الشيء جعله له

اكتريت من أعرابي فقال لي : أعطني من [سطاتهن] أي من خيار الدنانير

رأيت العرب يسمون الكزبرة [الدقة] وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجوالق [استشق به] اي حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : [عكشتك] بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) سبقك بها عكاشة[3] ! وهو عكاشة بن محصن الانصاري ، سمي بالعكاشة وهي العنكبوت ...»

وقصة الشقدف والشقنداف في [الكشاف] مشهورة ، وشهرتها لا تمنعنا من روايتها . قال في تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) : « ... ومما طن على أذني من ملح العرب

---

(١) متنبي الغرب ، وقبله :

ولم أجد الانسان الا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العليا ترق الى العلى فمن كان أعلى همة كان أظهرا

(٢) الزمخشري حرب للصوفية ، وطعنه عليهم في [الكشاف] كثير ، وفي الاساس : [الصوفية زفانة حفاة ، يزفنون يرقصون ، ويحفنون يجرقون الطعام بحفناتهم] .

(٣) المصباح : هو بالتثقيل ، وعن ثعلب : وقد يخفف ، وفي التهذيب : بالتثقيل وبالتخفيف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق . فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل؟ أردت المحمل العراقي . فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه الشقنداف . فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى » وقد شغل في هذا الزمان بعض اللغويين [شيء مخطر ، والتنزه [1]] والحرفان في الكشاف في تفسير آية في (الزخرف) قال جار الله : « كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك ، وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا . فلما كان الركوب مباشرة أمر [مخطر] واتصالاً بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب — وقد اتصل بسبب من اسباب التلف — ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة ، فمنقلب الى الله ، غير منفلت من قضائه . ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله ، وهو غافل عنه ، ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه : [تعالوا نتنزه] على الخيل او في بعض الزوارق ، فيركبون حاملين مع انفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن

---

(١) شغل [التنزه] القوم منذ اكثر من ألف سنة ، وفي التاج أقوال فيه وردود على المجد المغلط ، منها قول ملا علي : «البستان مكان نزه ، والخروج اليه تباعد عن مكروه في زمان هم أو خاطر مغموم او مكان غير ملائم واخوان سوء وهواء متعفن وأمثال ذلك »وفي المخصص ج ١٣ ص ١٠ « ومنها (من الألحان) ما يشوق وترتاح له النفس مثل صفة الانجار والزهر والمتنزهات والصيد ... » وفي الأساس في (ح د ق) : «ورد على كتابك فتنزهت في انف رياضه ، وبهجة حدائقه » وقال شاعر لا أتذكر الآن اسمه ولا مظنة قوله :

ولكل طالب لذة متنزه وألذ نزهة عالم في كتبه

وفي (برد الاكباد في الأعداد) للامام الثعالبي : «ابن دريد ذكرت بين يديه متنزهات الدنيا ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب؟قالوا : وما هي؟قال : كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء » وروى (نفح الطيب) لحميد بن مالك يصف دمشق وقوسها :

فكلها بجمال الطرف متنزه وكلهم لصروف الدهر أقران

متنزه في البيت كما هو ظاهر ومثلها اللفظة في برد الاكباد في طبعته (في مطبعة الجوائب) والمتنزه نجدها في مؤلفات قديمة كثيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي تجري بهم ، لا يذكرون الا الشيطان ، ولا يمتثلون الا أوامره . وقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد ، بينهما مسيرة شهر ، فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار ، فلم يشعر بمسيره ، ولا أحس به ... »

وجاءت [مخطر] في (الوجيز) في مذهب الامام الشافعي (ج ١ ص ١٧٤) .

اما النفل فهو زيادة مال يشترطه أمير الجيوش لمن يتعاطى فعلا مخطراً كتقدمه على طليعة او تهجمه على قلعة[1] »

وأمر خطِر كأمر مخطر . وقد خطأ العلامة اليازجي [القاموس] في قوله: «واستعمال لبنه خطر» قائلا : « لم نجد هذا اللفظ في شيء في كتب اللغة [الضياء ٨ ص ٣٢٣]

والعلامة احمد فارس يقول من قبل في [الجاسوس على القاموس] ص ٣٥٥ في النقد العشرين فيما ذكره في موضعه المخصوص به : « ذكر (خطِر) اي ذو خطر في وصف الشبرم بقوله : واستعمال لبنه خطر ، وفي سمم بقوله : والدرهم خطر . كذا رأيتها في عدة نسخ ، وليس لهذه الصيغة ذكر في كتابه ولا في العباب ولا في الصحاح ولا في مختاره ولا في المصباح »

واللفظة في شعر للبحتري رواه العلامة الاستاذ احمد بك العوامري في احدى مقالاته المحققة في مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

لما كملت رويـة وعزيمـة أعملت رأيك في ابتناء الكامل

ذعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلة هائل

كما روى العلامة العوامري قول المصباح « وبادية مخطرة » . (قلت) وفي شعر حبيب :

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهم أغمار

عكف بجذل للطعان ، لقاؤه خطر اذا خطر القنا الخطار[2]

---

(١) وجدت في اللسان : أقدم على قرنه اذا تقدم عليه بجراءة صدره . ولم أجد في معجم تهجم ولا تهجم عليه . ووجدت (تهجم) في [جواهر الألفاظ] لقدامة ١٣٣

(٢) لا أدري ما قاله التبريزي في هذه اللفظة ، وله شرح جيد لديوان أبي تمام ، منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية . وقد رجعت الى (مختارات البارودي) ومن عادته ان يأخذ من التبريزي تفسير أبيات للطائي ولم أجد على [الطا] شيأ ولا في اللفظ قولاً ، ووجدت هذا الشرح للبيت ، واليقين انه للتبريزي : ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأغلب الظن انها مثل لفظة البحتري بكسر الطاء لا فتحها ، وربما اقتبسها الطائي الأصغر من الطائي الاكبر .

وجاء في التاج ، والقول يروى على طوله لاشتماله على شيء مهم متعلق بالقاموس .

« قال شيخنا : وقد نظم ابن مالك هذه المصادر في قوله :

خشيت خشياً ومخشاة ومخشية وخشية وخشاة ثم خشيانا

ثم قال : وقد قصر عما للمصنف اذ يبقى عليه تخشاة الا ان يقال إنه لم يذكرها لغرابتها اذ قيل : انها لا تعرف عن غير المصنف ، والظاهر انها في المحكم . قلت : هذا غير صحيح اذ لم يذكر المصنف غير سبعة مصادر ، واما تخشاه الذي ظنه مصدراً فليس هو كما ظنه بل هو معطوف على قوله خَشِيَه ، وهو فعل ماض من باب التفعل ، خشيه وتخشاه كلاهما بمعنى خافه . هذا هو الحق في سياق المصنف . وسبب هذا الغلط عدم وجود النسخ المضبوطة المصححة ، وربما يكون من عدم المعرفة في اصطلاحه ، فربما يعتمد الانسان على كتبة غير مضبوطة او ضبطت على خطأ فينسبها للمصنف ، وهذا امر [خطر] قد وقع فيه كثير من المصنفين الذين ينقلون عبارة القاموس في كتبهم ، ويستشهدون بها . وقوله : (والظاهر انها في المحكم) رجم بالغيب وعدم اطلاع في حالة الكتابة على نسخة المحكم ... »

قلت : ومن خطأ الناسخين الذي لازم نسخ القاموس المخطوطة والمطبوعة في الهند ومصر ولم يفارقه حتى اليوم قوله : « جاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه اي طبعاً[1] » بالباء والصواب هو ما جاء في اللسان : « يقال جاء من ذي نفسه وذات نفسه اي طيّما » بالياء مشددة وفي الأساس : « جاءوا من ذي أنفسهم وذات انفسهم : طائعين ، وجاءت من ذي نفسها وذات نفسها : طائعة » وقد نبه شارح القاموس اي صاحب التاج على ذلك الخطأ .

(يتبع) محمد اسعاف النشاشيبي

ـ« عكف ـ بضم فسكون ـ جمع عاكف من عكف القوم حول الشيء استداروا به ، والجذل ـ بالكسر ـ الصاحب وهو في الأصل عود ينصب للابل الجربى لتحتك به ومنه قيل : انا جذيلها المحكك وانه جذل رهان اي صاحبه ، وخطر القنا : اضطرب واهتز » .

(١) اكال اديب كبير احتج بلفظة القاموس هذه في رد على تخطئتي اياه في [البلاغ]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net